الفصل الأول

الملك عبد العزيز وتوحيد وبناء المملكة العربية السعودية

نبذة تاريخية

الملك عبد العزيز والأعمال التنموية

النظام الأساسي للحكم

الأمن

الجيش

التنظيم المالي

تنظيمات التعليم

مناقشة

وقفة للتأمل

obeikandl.com

الفصل الأول

الملك عبد العزيز وتوحيد وبناء المملكة العربية السعودية

نبذة تاريخية:

بدأت مسيرة الملك عبد العزيز الشاقة في توحيد وبناء المملكة العربية السعودية، بعد وفاة الأمير فيصل بن تركي عام ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٧١م، إذ اشتدَّت المنازعات بين ولديه عبد الله وسعود وعمِّهما عبد الله بن فيصل حيث مهدت الطريق لابن رشيد لجني ثمار هذا الخلاف، وتمكينه من دخول الرياض على رأس حملة كبيرة، وإنقاذ الإمام عبد الله، وإخراجه من السجن. كما هزم ابن رشيد محمداً بن سعود، وتغلب عليه، وألحق الرياض بمدينة حائل التي كانت مقراً له[١]، وعيَّن أحد رجاله نائباً عنه في الرياض، يشاركه في حكمها مع الأمير عبد الرحمن بن فيصل الأخ الأصغر للإمام عبد الله بن فيصل.

إلا أنَّ ابن رشيد لم يقنع بما حصل عليه، وحاول أن يتخلص من الأمير عبد الرحمن الذي كان الشَّعْبُ قد بايعه بالإمامة بعد وفاة أخيه عبدالله بن فيصل، فأوعز إلى مندوبه في الرياض سالم السبهان باغتياله، واكتُشِفت المؤامرة في الوقت المناسب، واعتقل سالم السبهان، وأودع السجن في الرياض . وقد استطاع الإمام عبد الرحمن بعد هذه الحادثة أن يستعيد استقلال العاصمة - الرياض - واستعادت الدولة عافيتها، مما أدّى إلى انضمام القصيم وبعض المقاطعات إلى الدولة [٢].

---

(١) مديحة أحمد درويش : تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، دار الشرق للتوزيع والنشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٢ .

وعندما نَمى إلى علم ابن رشيد انضمام القصيم، وغيرها من المقاطعات إلى الإمام عبد الرحمن هبَّ بإعداد قوة عسكرية لحصار مدينة الرياض محاولاً الاستيلاء عليها . وقد مُني ابن رشيد بالهزيمة، إلا أن الهزيمة لم تكن في المستوى الذي يضعف خطره، مما حدا بالإمام عبد الرحمن أن يجري معه مفاوضات للصلح انتهت بعودة ابن رشيد إلى حائل بعد فكّه الحصار المفروض على الرياض، وأن تكون إمارة العارض للإمام عبد الرحمن بن فيصل، وتكون السلطة الفعلية في الرياض لآل سعود، دون أن يتدخل ابن رشيد فيها، في مقابل أن يطلق الإمام عبد الرحمن سراح سالم السبهان[٣] .

لم يكتب لهذا الصلح النجاح، حيث أغار ابن رشيد بقواته على أهالي القصيم الذين نهضوا لقتاله لعدم إنجازه ما وعدهم به من ضم بعض الأراضي إليه، ودارت معركة بين الفريقين عام ١٣٠٨هـ الموافق ١٨٩٠م انتصر فيها أهل القصيم في أول الأمر، ولكن ابن رشيد عاود الكرة، وأجهز على أهل القصيم بقوة كبيرة، وانتهت المعركة بانتصار ابن رشيد في معركة المليدا.

لقد مهَّدتْ تلك المعركة الطريق لابن رشيد للسيطرة على نجد لعدة سنوات . واضطر الإمام عبد الرحمن للخروج من الرياض، عندما جاءه نبأ هزيمة أهل القصيم، وانتصار ابن رشيد، ذلك لأن قوته في الرياض لم تكن كافية لمجابهة ذلك الخصم العنيد .

وعندما علمت بريطانيا بانتصار ابن رشيد في منطقة القصيم، وخروج الإمام عبد الرحمن من الرياض، عرضت على الإمام عبد الرحمن أن يكون أميراً للرياض، في ظل

---

(٣) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، المجلد ١ ، ص ٨٧ .

سيادة الدولة العثمانية وحمـايتها، مقابل دفع خراج سنوي رمزي[٤] لكن الإمام عبد الرحمن لم يقبل بهذا العرض، لأنَّ ذلك يُدخل الجـزيرة تحت نفوذ خارجي، الأمر الذي لا يرضاه آل سعود، الذين يسعون إلى تحرير شبه الجزيرة، وتوحيدها في دولة عربية إسلامية ذات سيادة.

ولذلك فضَّل الإمـام عبد الرحـمن الذهاب إلى الربع الخالي، وأن يضـرب في البادية، ويستقـرَّ هناك لعدة شهور . بعدهـا انتقل إلى قطر، ومكث بها ستين يوماً، رحـل بعدها مع أفراد عائلته – وفي معـيتهم ابنه (عبد العزيز) الذي لم يكن عمره آنذاك يتـعدى إحدى عشرة سنة – إلى البحرين، ومنها إلى الكويت، حيث بقي فـيها عشر سنين، حتى تمكن نجله الملك عبد العزيز من تحرير الرياض وينطلـق منهـا لتـأسيـس ما يعـرف فـي التاريـخ الحـديث باسـم المملكـة العربيـة السعودية[٥].

وإذا كانت مـوقعة (المليـدا) تعتبـر من المعارك التي ألقت بظلالها الداكـنة على تطلعات الإمام عـبد الرحـمن، وتسببت في اتخاذه قرار الرحـيل إلى الربع الخالي فـي جنوب شرق الجزيرة العربيـة، ثم إلى قطر والبحرين، حيث استقـر به المقام آخر المطاف في الكويت التي أمضى بها عقـداً من الزمان، فإن هذه الموقعة كان لها أثر إيجابي علـى الإمام، لأن استقراره في الكويت لتلك الفترة قد أتـاح له فرصة التأمل، ولنجله عبدالعزيز فـرصة التخطيط واتخاذ الاستـراتيجـية اللازمة لـفتح الرياض التي تعـتبر نقطة الانـطلاق إلى تأسيس مملكة مـوحدة مترامية الأطراف .

---

(٤) مديحة أحمد درويش : مصدر سابق ، ص ٧٣ .

(٥) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين – ص ٢٤١ .

وقد حاول الملك عبدالعزيز دخول الرياض مرتين، حيث لم يكتب لحملته الأولى النجاح في الاستيلاء عليها، إلا أنه شنَّ هجوماً آخر حقق به مهمته، وهي القضاء على محمية ابن رشيد، وكتب له النصر أخيراً، وكان ذلك سنة ١٣١٩هـ - ١٩٠٢م، وقد استبشر الناس بهذا الحدث العظيم، وهبوا إلى تهنئة الإمام عبدالعزيز بعودة آل سعود إلى مقر حكمهم، وانطلاقتهم لتأسيس مملكتهم الفتية، إلا أن الصراع استمر بين الإمام عبدالعزيز وابن رشيد على شكل مناوشات ومعارك صغيرة متفرقة، أهمها معركة (الدلم) [٦] وغالباً ما كانت تنتهي لصالح الإمام عبدالعزيز، وذلك لقربه من قلوب الناس ومحبتهم له، لاسيما في بعض المقاطعات كالوشم، وسدير، والقصيم وبذلك أصبح الإمام عبدالعزيز سيد منطقة نجد الوسطى، إضافة إلى المناطق الجنوبية من الرياض كالخرج، والأفلاج، ووادي الدواسر، والحوطة، والحريق[٧] . وما أن عرف أهالي القصيم بانتصار الإمام عبدالعزيز على ابن رشيد في معركة (الدلم) حتى بدؤوا بمحاولات التخلص من حكم ابن رشيد وذلك بالانضواء تحت راية الإمام عبدالعزيز، ومساعدته لتمكينه من القضاء على وجود ابن رشيد في منطقة القصيم من خلال انتصاراته في معركتي (البكيريه)، و(الشنانة) عام ١٣٢٢هـ[٨]، إلا أن هذا الخصم العنيد لم يرض بالواقع الذي آل إليه أهل القصيم، وبدأ يشن غارات متفرقة على المنطقة يشجعه عليها العثمانيون الذين أخذوا يمدونه بالعتاد والعسكر، حتى انتهى به الأمر إلى ملاقاة جيش الإمام عبدالعزيز في معركة (روضة مهنا)، حيث قتل عبد العزيز بن متعب ابن رشيد،

---

(٦) عبدالله الصالح العثيمين : معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد ، العبيكان ١٤١٦هـ ، ص ٧٠ .

(٧) مديحة أحمد درويش : مصدر سابق ، ص ٨٠ .

(٨) عبد الله الصالح العثيمين : مصدر سابق ، ص ٧٧ .

وبذلك تخلص الإمام عبد العزيز من خصمه اللدود، واستتب له الأمر في هـذا الإقليم.

ولعل زوال تخوف الإمام عبـد العزيز من العثمانيين - وذلك بالقضـاء على حليفهم من جهة، وتقرب بريطانيا منه، وكسب ودّه من جهة أخرى، حيث رأت بريطانيا في هذه العلاقة ما قد يثني عزمـه عن التفكير في الكويت، أو التوجه جنوباً للاستيـلاء على الإمارات العربية الممتدة على ساحل الخليج العربي - قد دفعه إلى العمل لتوسيع نفوذه على المناطق الأخرى، وذلك تحقـيقاً لهدفـه السامي وهو : توحـيد أجـزاء مملكته، وذلك بالاتجـاه أولاً شرقـاً إلى الأحساء والقطيف، حيث يتطلع إلى أن يكون له منفـذ على الخليج، وكون هذه المنطقة غنية بالمحاصيل الغذائيـة والمياه، إضافة إلى ذلك فإن هذه المنطقة كـانت جزءاً من الدولة السعودية الأولى والثانية، ومما سهل مهـمة الإمام عبدالعزيز للاستيلاء على الأحـساء عدد من الأسباب نذكر منها:

١ - هزيمة القوات العثمـانية في ليبيا عام ١٣٣٠هـ أمام القوات الإيطاليـة، وكذلك انشغالها بالحرب في البلقان، مما أدى إلى إضعاف سلطتها في المناطق البعيدة نسبياً عن عاصمتها.

٢ - عدم اهتمـام بريطانيا التي لها نفوذ على بعض المناطق على سـاحل الخليج بما يجري في المناطق الداخلية من الجزيرة العربية .

٣ - وجود خطـة متقنة قـام بإعدادها المـلك عبدالعـزيز، ونفذت بمهـارة منه ومَنْ مـعه من الرجال، وعلى رأسهم عبدالله بن جلوي .

٤ - وجـود بعض أعيـان الأحـساء، الذين أمـدوه بالمعلومات الكـافيـة عن وضع المتصـرف العثـماني في الهفوف، وذلك لرغـبتهم في عـودة حكم آل سعود الى الأحسـاء، الأمر الذى سيكفـيهم خطر القبائل المجـاورة التي كثيـراً ما كانت تغيـر على القرى، والمدن، وتقوم بنهب الأموال، وسلب الممتلكات.

وقد تم للملك عبد العزيز الاستيلاء على الأحساء، بعد دخوله إلى منطقة الكوت، ومحاصرته قصر إبراهيم، وطلبه من المتصرف العثماني الخروج من الأحساء دون أي شروط، وقد تم ذلك عبر ميناء العقير والبحرين، أما عن الاستيلاء على القطيف، فقد بعث الملك عبد العزيز بسرية بقيادة عبد الرحمن بن سويلم االذي دخلها دون صعوبة [٩] .

ولم تخلُ معارك الملك عبد العزيز من هزائم لحقت به، ذلك أنَّ ملحمة التوحيد لم تتم بسهولة، ومن هذه المعارك ما عُرف في تاريخ الجزيرة بمعركة (جراب) التي دارت بين ابن سعود وابن رشيد والتي تكبد خلالها الملك عبد العزيز وأتباعه الكثير من العناء، ومنوا بالهزيمة، وذلك لعدد من الأسباب، أولها أن الدولة العثمانية زوّدت ابن رشيد بأسلحة حديثة يصل مداها إلى مسافات أطول مما تصل إليه تلك الأسلحة التي يمتلكها رجال الملك عبد العزيز، وثانيها أنه خلال التحام المعركة، أغارت قبائل من شمر على إبل الملك عبد العزيز، وأخذت ما استطاعت الاستحواذ عليه. وثالثها - وهو مما آلم الملك عبد العزيز أيضاً وتسبب في إيقاع الهزيمة به - أن بعض القبائل التي كانت معه مثل العجمان، قد بدؤوا هم أنفسهم بالنهب من الإبل التابعة للملك عبد العزيز، ومن نتائج هذه المعركة أن قتل العديد من أتباع الملك عبد العزيز، ومن بينهم محمد بن عبد الله بن جلوي، ومحمد بن شريدة، وصالح الزامل وغيرهم . وإذا كانت عملية التوحيد تحتاج الى المال، والعتاد، والرجال، فقد أدرك الملك عبدالعزيز أنها أيضاً بحاجة إلى استتباب الأمن في المناطق الموحَّدة . مما أدّى إلى احتدام معركة (كنزان) التي خاضها الملك ضد قبائل العجمان، التي كانت تقوم بالسطو وقطع

---

(٩) عبد الله الصالح العثيمين : مصدر سابق ، ص ١٤١ .

طرق القوافل التجارية في شرق الجزيرة، وتلك المتجهة إلى الكويت، فأغضبت مبارك بن صباح الذي استنجد بالملك عبدالعزيز، لوضع حد لفقدان الأمن في تلك المناطق التابعة لنفوذه، كما أن بريطانيا ستحمِّل الملك عبدالعزيز جزءاً من المسؤولية عن اعتداء تلك القبائل على المصالح التجارية لابن صباح الذي يتمتع بحمايتها . وقد كانت المعركة في بادئ الأمر تسير لغير صالح الملك عبدالعزيز، حيث جرح من جرائها، واستُشْهِدَ أخوه (سعد) فيها، إلا أنه - بعد وصول قوة كبيرة من نجد بقيادة أخيه (محمد)، وأخرى من الكويت بقيادة (سالم الصباح) - استطاع تعقُّب العجمان، وطردهم من مواقعهم، واضطرهم للاتجاه شمالاً .

أما معركة (تربة) في عام (١٣٣٧هـ)، فتعتبر أهم المعارك العسكرية التي خاضها الملك عبد العزيز، وذلك لأسباب أهمها : أنها تقع في منطقة النقطة الواصلة بين نجد والحجاز، وكان أكثر سكانها من قبيلة البقوم، وبينهم العديد من قبائل الأشراف، وهي البوابة للطائف من جهة نجد، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالخرمة التي يسكنها الأغلبية من قبيلة سبيع وغيرهم من الأشراف، وقد كانت تربة تابعة للدولة السعودية الأولى سنة ١٢١٢هـ، وأهلها من أوائل مَنْ تبع دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وقد حاول (الشريف غالب) أن يخضعهم لحكمه، إلا أنهم - خاصة قحطان والدواسر - ألحقوا به خسائر فادحة . ولما أخضع والي مصر العديد من بدو الحجاز الكبرى تحت حكمه، وانتزعها من آل سعود، حاول إخضاع الخرمة، إلا أنه فوجئ بمقاومة عنيفة، وذلك مما يؤكد التقارب والتعاطف الكبيرين بين أهالي هذه المنطقة وآل سعود .

أشرنا فيما سبق إلى أن بريطانيا عملت - عند اندلاع الحرب العالمية الأولى- على كسب ود حكام الجزيرة العربية، ليقفوا معها ضد الدولة العثمانية، فوعدت (الشريف حسين)

بأن يكون ملكاً على العرب، إذا أخـذت بلادهم من الدولة العثمانيـة، ونجحت في أن تجعل من الملك عبد العزيز محايداً خلال الصراع بين الـعثمانيين والإنجليز، وبعد أن انتهت الحرب، وخسرت الدولة العثمانية حربها مع الحلفاء، قام الإنجليز بالاستيلاء على العراق، كما قاموا - بالتعـاون مع فرنسا - بالاستـيلاء على بلاد الشام وفلسطين، وقد كـانت النتيجة الجـلاء التام للعثمانيين عن الأراضي العربية، وذلك في عام ١٣٣٧هـ .

كانت منطقة عسير أثناء تحرك الملك عبدالعـزيز لتوحيد المملكة تخضع للحكم العثماني، وكان الأمير حسن بن عايض آل عايض هو حاكم المنطقة، الذي استقل عن النفوذ العثماني، بعد أن حلَّ بالدولة العـثمانية الكثيـر من الهزائم في عدد من المناطق، خلال الحـرب العالمية الأولى . وقد كـان ذلك الأميـر على صلة بالملك الذي أمَـدّه بالسلاح والعـتاد ليقـوم بضم جازان والاستيلاء عليهـا مـن (محمد بن علي الإدريسي)، بينما كانت علاقة الشريف حسين مع الملك عبـدالعزيز في أدنى مسـتوياتها، عندمـا حقق الأخير انتـصاراته في معـركة (تربة) بمساعدة من الإخوان. وفي تلك الأثناء قامت بعض الخـلافات بين قبائل قحطان وزهران مع آل عايض، مما أدّى بتلك القبـائل إلى أن تستنجد بالملك عبدالعزيز، الذي أخـذ نجمه يلمع، فجهـز الملك عبدالعزيز جـيشاً بقيادة الأمـير عبدالعزيز بن مـساعد، الذي انتصـر على الأمير حسن آل عايض في معركة (حجله)، ودخل ابن مسـاعد أبها دون مقاومة، وعندما استكمل ابن مساعـد الاستيلاء على منطقة عـسير، طلب ابن عايض وبعض أفراد أسـرته التوجّه إلى الرياض، وبذلك دخلت كامـل المنطقة تحت حكم الملك عبـدالعزيز . وقد عـومل آل عايض معاملة حسنة في الرياض، وعندما طلبوا العودة إلى ديارهم، قـام الملك عبدالعزيز بتجهيزهم بما يحتـاجونه، ومنحـهم رواتب ومخصـصات، ولكنهم - بعـد وصولهم - أرادوا اسـترداد

حكمهم، واتجهوا لطلب المساعدة من الشريف حسين، وحاصروا الأمير السعودي في أبها، الذي حاول المقاومة، ولكنه في نهاية الأمر اضطر للخروج منها، متجهاً إلى خميس مشيط، ومنها حاول تجميع قواته لاسترداد المنطقة، ولكن لم يكتب له النصر. وما إن علم الملك عبدالعزيز بذلك حتى سيّر جيشاً كبيراً، بقيادة ابنه فيصل الذي زحف إلى خميس مشيط، واستولى عليها، واتّجه منها إلى أبها التي دخلها دون مقاومة. ومن العوامل التي أدّت إلى انتصار ابن سعود في إعادة توحيد عسير هي انتصاراته في إقليم جبل شمر، واستيلاؤه عليه.

كان ابن رشيد يشكل قلقاً للملك عبد العزيز لكثرة المنازعات التي يختلقها من وقت لآخر بمساعدة العثمانيين، ورأى الملك عبد العزيز ضرورة وضع حدٍّ لهذا الخطر الذي يداهم حكمه من حين لآخر، ولذلك فقد بدأ يتطلع إلى توحيد جبل شمر . ومما ساعد الملك عبد العزيز على أخذ المبادرة في مهمة القضاء على الأمير (سعود ابن رشيد)، خسارة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، وخروج تركيا منهكة متهالكة، الأمر الذي وضع حداً لمساعداتها العسكرية لابن رشيد، كما أن نجاح الملك عبد العزيز في توحيد منطقة الأحساء والقطيف، كان نجاحاً له أهمية استراتيجية، وعسكرية، واقتصادية، خاصّة بعد أن وقّع مع بريطانيا معاهدة سنة ١٣٣٤هـ، التي أكدت في أحد بنودها على حماية الملك عبد العزيز من أي اعتداء خارجي على بلاده، كما أن نجاحه في استقطاب الإخوان، وكسبهم على أساس ديني، وتوطينهم في الهجر قد جعل منهم قوة تابعة له، وقد أثرت هذه السياسة في استقطاب أهل البادية وإخوانهم، وما حققه من نصر بمساعدتهم في معركة (تربة) ١٣٣٧هـ، كما كان لها تأثيرها في انضمام بعض فئات قبيلة شمر ذاتها إلى جانب الملك عبد العزيز.

وقد كان المدبِّر لشؤون إمارة جبل شمر في ذلك الوقت (زامل بن سبهان) عام ١٣٣٢هـ وذلك تحت قيادة الأمير سعود بن عبد العزيز ابن رشيد . وكان ابن سبهان يحاول اقناع ابن رشيد بمداهمة الملك عبد العزيز، إلا أن أحد أقاربه - ويدعى سعود الصالح بن سبهان - وشى به عند الأمير ودُبِّرت له مؤامرة اغتيل على إثرها، ولذلك فقد تغيرت علاقة الملك عبد العزيز بابن رشيد، مما أدى إلى مجابهة بينهما في معركة (جراب) . كما أن تغلغل نفوذ سعود بن سبهان في شؤون الحكم دفعه إلى التفكير في التخلص من الأمير سعود ابن رشيد، وعزله عن الإمارة سنة ١٣٣٥هـ، إلا أن أمره قد اكتُشف، مما اضطره إلى الفرار إلى العراق، وحلّ محلَّه مساعده الأمير عقاب بن عجل[١٠]، وفي عام ١٣٣٦هـ شهدت أطراف جبل شمر غارات متعددة من الملك عبد العزيز وقد خرج الأمير سعود ابن رشيد لمحاربته، إلا أنه اضْطُرّ في العام التالي أن يعقد صلحاً مع الملك عبد العزيز، وذلك لانشغاله بصفة مؤقتة، وقد أعطاه هذا الصلح فرصة إبعاد نفوذ (ابن شعلان) عن الجوف . على أن هذا الترتيب لم يدم طويلاً، حيث أقدم (عبد الله بن طلال) عام ١٣٣٨هـ على قتل سعود ابن عبد العزيز ابن رشيد غدراً، وقتل عبد الله بن طلال فوراً، فبويع بالإمارة عبد الله بن متعب الذي كان صغير السن، مما أدّى إلى تدهور الوضع السياسي، والعسكري للإمارة. وعندئذ ذهب وفد من رجال حائل إلى الملك عبد العزيز لتجديد معاهدة الصلح، إلا أن الملك عبد العزيز اشترط أن تكون السلطة الداخلية في الإمارة بيد ابن رشيد، وأن تكون الشؤون الخارجية بيد الملك عبد العزيز. وقد كان هذا الموقف الحازم من الملك عبد العزيز

---

(١٠) عبد الله الصالح العثيمين : مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .

مدعوماً بقوته العسكرية بعد انتصاراته في (تربة) عام ١٣٣٧هـ، وكذلك نجاحه في توحيد منطقة عسير، إلا أن ابن رشيد رفض هذا الشرط فيما يتعلق بالشؤون الخارجية للإمارة، الأمر الذي حدا بالملك عبد العزيز إلى التخطيط لحسم ضم جبل شمر، وتوحيده تحت سلطته.

وقد بدأ الملك عبد العزيز عملياته العسكرية، لتوحيد إقليم جبل شمر، في شوال ١٣٣٨هـ، وذلك عندما أرسل ابنه (سعود) على رأس قوة كبيرة من الإخوان للإغارة على قبيلة شمر، إحدى ركائز إمارة آل رشيد، وقد نجحت هذه القوة في غارتها على قبيلة شمر، ثم عادت من هناك.

وقد اعتمد الملك عبد العزيز هذا الأسلوب من الغارات المتفرقة والصغيرة لإنهاك خصومه، استعداداً للقيام بهجوم كاسح يقضي عليهم، وقد أذن الملك عبد العزيز فيما بعد للإخوان بمهاجمة بادية شمر، فأغارت فرقة منهم على بادية قرب حائل، وغنمت ما غنمت ثم عادت، كما أغارت فرقة أخرى من بادية شمر على ابن رشيد في موقعة أخرى وهزمته، وبعد هاتين الغارتين استعد الملك عبد العزيز وتوجَّه إلى القصيم حتى وصل بريدة، واجتمع بأتباعه هناك وأغلبهم من الإخوان، حيث قسمهم إلى قسمين، أولهما بقيادة ابنه سعود، ومهمته مهاجمة القبائل المؤيدة لابن رشيد، شمال جبل شمر، والثاني بقيادة أخيه محمد ومهمته مهاجمة أطراف حائل ثم البدء بحصارها . وقد أنجز الأمير سعود مهمته، واتجه بعد ذلك إلى حائل لمساعدة الأمير محمد بن عبد الرحمن، حيث تمّت محاصرة حائل، فطلب كبار القوم في حائل المفاوضة مع الملك عبد العزيز، فسمح لهم بذلك، ووافقوا على الشروط السابقة التي أبرمت مع ابن سبهان، إلا أن الملك رفض تلك الشروط، وأراد دخول كل الإقليم تحت لوائه، سواء من الناحية الداخلية أو الخارجية، شأنه بذلك شأن

الأقاليم الأخرى التي وحدها الملك عبد العزيز، ولكن المفاوضين لم يقبلوا بذلك الأمر مما جعل الملك عبد العزيز يطلب من الأمير محمد استمرار محاصرة حائل، وألحق به الأمير سعود، ليعزز من حصاره المدينة، ويحكم قبضته عليها، إلا أن استدعاء الملك عبدالعزيز لأخيه محمد، وجعْل القيادة موحدة في يد الأمير سعود، أعطى الفرصة للأمير محمد بن طلال ابن رشيد، لشن هجومٍ على قوات الأمير سعود، وما إنْ علم الملك عبدالعزيز بذلك، حتى أرسل تعزيزات بقيادة فيصل الدويش، لمحاصرة حائل من جديد، ولحق به الملك عبدالعزيز أيضاً، وطلب الملك من أهل حائل التسليم، فقبلوا، إلا أنَّهم اشترطوا أنْ تكون الإمارة في يد الأمير طلال، فرفض الملك هذا الشرط، واستمر في حصار المدينة أكثر من خمسين يوماً، بعدها استسلم أهل حائل، وتم توحيد جبل شمر تحت لواء الدولة السعودية، وقد كان ذلك في سنة ١٣٤٠هـ، بعد حكم لآل رشيد دام تسعين عاماً.

أما عن توحيد الحجاز فإن انتصار الملك عبدالعزيز على جيوش الشريف حسين في معركة (تربة) بمساعدة الإخوان أكسبه ثقة بالنفس، وازدادت هيبته في تلك المنطقة، ناهيك عن انضواء العديد من أهالي تلك المناطق تحت رايته. إلا أن الشريف حسين، وبعد تلك الخسارة، لم يعد ينظر للأمور بشيء من الحكمة، مما دفعه الى التحرش بالنجديين، ومنعهم من الحج، وقد تدخلت بريطانيا لتهدئة الوضع، وقبِل الملك عبدالعزيز بهذه الوساطة، على شرط ألا يتعرض الشريف حسين لأتباعه، كما قبل الملك عبدالعزيز بتأجيل حج ذلك العام بالنسبة للنجديين. وقد أدرك الشريف حسين أيضاً أنَّ انتصارات الملك عبدالعزيز في منطقة عسير، وتوحيده لجبل شمر، قد يدفعه الى المزيد من التطلعات، ومدّ النفوذ الى مناطق أخرى في الحجاز، ولذلك بدأ يخطط لمساعدة قبائل شمر، وتحريضهم على العصيان،

والخروج على الحكم السعودي، في الوقت الذي أوعز فيه إلى ابنيه في كل من العراق، وشرق الأردن، بمهاجمة القوافل التجارية السعودية، كما أن الشريف حسين قد أقدم على تلقيب نفسه بملك المسلمين، الأمر الذي أغضب الملك عبدالعزيز، وأغضب المسلمين في كل من مصر، والهند. إضافة الى ذلك، فقد رأى الملك عبدالعزيز أنْ يعقد مؤتمراً في الرياض دعا إليه أمراء المناطق، والمدن، ورؤساء القبائل، والأخوان. وحضر المدعوون وافتتح الإمام عبد الرحمن المؤتمر، وأبدى تذمره من منع الشريف حسين أتباع الملك عبدالعزيز من أداء فريضة الحج، وبعد ذلك قام الملك عبدالعزيز بشرح الأضرار المترتبة على الموقف المعادي من جانب الشريف حسين . وبعد هذا المؤتمر بدأ الملك عبدالعزيز بالتخطيط لمعاركه ضد الشريف حسين، وذلك بإرسال قوات من الإخوان إلى كلٍّ من الحدود العراقية، وحدود شرق الأردن، لكي يقطع الطريق على أي مساعدات قد تأتي من فيصل وعبدالله ابني الشريف حسين، لمساعدة والدهما، في حالة بدء المعارك في الحجاز بينه وبين الملك عبد العزيز . وقد كانت المعركة الأولى هي معركة (الطائف) التي انتهت باستسلام المدينة للقائدين التابعين للملك عبدالعزيز ابن لؤي، وابن بجاد. وتلت هذه المعركة معركة (الهدى) التي انتصر فيها الملك عبدالعزيز وأنهت وجود قوات الشريف حسين في منطقة الطائف. حاول الملك عبدالعزيز التريث عن دخول مكة ليجس نبض بريطانيا حول استيلائه على الطائف، في الوقت الذى طلب منها الشريف حسين التدخل لمساعدته وإرسال طائرات، وعتاد عسكري. وقد قُوبل هذا الطلب بالرفض من بريطانيا التي رأت أنّ الخلاف بين ابن سعود والشريف

حسين هو خلاف مذهبي، وأنّ التقاليد البريطانية لا تسمح بالتدخل في مثل هذه الأمور[١١]. وقد توجّه الملك عبدالعزيز بعد ذلك بقواته إلى مكة، وأدرك الشريف حسين أنْ لا جدوى من المقاومة، وأمر رجاله بالنزوح الى جدة، فاستولى الملك عبدالعزيز على مكة، وكان ذلك في عام ١٩٢٤م، وقد رأى بعض وجهاء مكة، الذين انتقلوا بعد دخول الملك عبدالعزيز إليها، وكذلك بعضٌ من وجهاء جدة، أن يتنازل الشريف حسين لابنه (علي)، لأنهم يرون أنَّ ذلك قد يقود إلى تخفيف حدة التوتر في العلاقات بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين. وفعلاً قبل الشريف حسين بهذا الاقتراح، وتنازل عن السلطة لابنه (علي)، إلا أن الشريف عليّ بدأ يثير الإشاعات عن تدهور الأوضاع في الأراضي المقدسة، وقد استطاع الملك عبدالعزيز دحض هذه الدعاية المغرضة من جانب علي، ووجّه خطاباً يدعو فيه كافة المسلمين إلى التوجُّه للحج من الموانىء التي تحت سلطته آنذاك مثل رابغ، والليث، ويتكفل بحماية الحجيج القادمين إلى مكة من خلال هذه الموانىء، وكان لهذا الخطاب أثر كبير في تبديد الدعاية المغرضة، وأتى للحج العديد من المسلمين من مختلف الدول الإسلامية، حيث قضوا فريضة الحج بكل يسر وطمأنينة، وكان في ذلك أيضاً تأكيد لأكاذيب الشريف عليّ، وتأييد منقطع النظير للملك عبدالعزيز. بعدها رأى الشريف عليّ أنه قد سئم الحرب، وأراد أنْ تتوسط بريطانيا في حل الخلافات بينه وبين الملك عبدالعزيز، إلاّ أن هذا الطلب لم يلقَ أيَّ تجاوبٍ من بريطانيا، وعليه فقد قرر الشريف عليّ الرحيل بحراً، من جدة إلى بغداد، وبذلك دخل الملك عبدالعزيز جدة، وأعطى الأمان لسكانها، وأُطلق عليه لقب ملك الحجاز، ونجد، وملحقاتها. وقد كان ذلك في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ الموافق ٧ يناير ١٩٢٦م.

---

(١١) حسين فوزي النجار : السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط ، المقطم ، ١٩٢٤م ، ص ٤٤٠ .

بعد هذه النبذة التاريخية الموجزة عن جهود الملك عبدالعزيز في توحيد المملكة العربية السعودية، ننطلق بالحديث عن أعمال الملك عبدالعزيز في المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، التي كانت الأساس للتنمية الشاملة في مختلف المجالات والقطاعات في البلاد. ومن بينها موضوع هذا الكتاب الذي نتناول فيه - بالتفصيل - التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، الإنجازات والطموحات .

الملك عبدالعزيز والأعمال التنموية

عندما انتهى الملك عبدالعزيز من حروب ومعارك توحيد المملكة العربية السعودية، التي استمرت خمسة وعشرين عاماً، رأى أنه من الضروري إكمال بنيان هذا الكيان الشامخ، بالأسس التي تضمن له البقاء من الناحية الأمنية، واتخاذ الخطط اللازمة التي تمده بالتطوير والديناميكية المطلوبة للنمو. ويؤكد هذا التوجه لدى الملك عبدالعزيز ما قاله عنه المستشرق (جرمانوس) الذي وصفه بأنه الملك الذي جرد سيفه في سبيل دينه وعقيدته، يجمع في طبيعته روح الحرب وروح السلم، لا يقاتل الناس ولا يعتدي عليهم، وإنما يحارب الجهل، ويقاتل الجمود، ويكافح التأخر[١٢] ولذلك نجده اهتم بالأمور التالية:

النظام الأساسي للحكم:

لقد كان نظام الحكم من المجالات التي شغلت فكر الملك عبدالعزيز، بعد انتهاء حروب التوحيد والبناء، ورأى أن يكون هذا النظام نابعاً من العقيدة الإسلامية، التي قامت عليها

---

(١٢) إبراهيم عبدالله المطرف : أنظمة الحكم والشورى والمناطق ، تطوير في إطار الثوابت ، دار أخبار الخليج للصحافة والنشر ، البحرين ١٩٩٦م ، ص ١٨ .

الدولة السعودية، ويقـول الخويطر عن هذا النظام: "كان من الأمور الهامة لديه بـعد توحيد المملكة أن يضع الأسس لحكم مـدني يتناسب مع العصـر الحديث في إطار الديـن الإسلامي الحنيف، حتى لا تفقـد البلاد صفتها وطبـيعتها، فوضع نموذجـاً للحكم الإسلامي فريداً في عصرنا الحـاضر، وكان الأساس الذي وضعـه قوياً، حافظ عليه أبناؤه، ومشـوا فيه يطورونه في حدود ما رسم والدهم مما ارتضـته الشريعة، وامتدحـه الدين الإسلامي الحنيف، وشمل الإصلاح" [١٣].

الأمن:

اهتم الملك عبدالعزيز بالأمن، وذلك لسببين مهمين، الأول: أن الدولة أصبحت مترامية الأطراف، وأنَّ الحفاظ على وحدتها يحتاج إلى أن يكون الأمن مسـتتباً في مختلف أرجائها، والثاني: أن الأمن ضرورة لطبيعة البلاد التي يقصدها المسلمون من كافة أرجاء المعمورة، وأن توافر الأمن لهم سـوف يقوي من شـأن هذه الدولة على المستوى الدولـي، وعليه فقـد أنشأ جلالته عام ١٣٤٤هـ المديرية العـامة للشرطة التي تحولت فيما بـعد إلى المديرية العامة للأمن التي ارتكزت على قوى المشاة، وجنود المرور، والخيالة والآليات، وشرطة حماية الأخلاق[١٤].

الجيش:

كان الجيش خلال فـترة توحيد المملكة يتكون من البادية والحـاضرة، وإذا دعت الحاجة إلى رجال للغزو، يطلب الملك من مختلـف القبائل والمناطق إرسال بعض المحاربين، وتكون

---

(١٣) إبراهيم عبد الله المطرف : المصدر السابق ، ص ١١ .

(١٤) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، بيروت ١٣٩٠هـ ، ص ٤٥٥ .

كل فرقة تحت إمرة عبدالعزيز، أو من ينيبه للقيادة، ولكنها تحتفظ براية قبيلتها، وعندما تنتهي المهمة يعـود الرجال إلى مناطقهم، ليمارسـوا حياتهم في مجالات الزراعـة والرعي وغيرها، ولكن بعد التوحيد رأى الملك عبدالعزيز أن يشكِّل جيشاً نظامياً ثابتًا، مستفيداً في بادىء الأمر من التشكيـلات الموجودة في منطقة الحـجاز إبان حكم الأتراك والشـريف حسين، وقـد كان هذا هو الأساس للجيش السعـودي، إلا أن الملك عبد العزيـز رأى أنَّه من الضروري تكوين جيش يرقى بسـمعة الدولة، وعليه فـقد أنشئت مديرية الأمـور العسكرية سنة ١٣٤٨هـ التي ضمت فوجـاً من المدفعية، وفـوجاً من الرشاشات، وفـوجاً من المشاة . وشكلت فيـما بعد وكـالة الدفاع . وفـي عام ١٣٦٣هـ كـونت وزارة الدفـاع التي أخـذت على عاتقـهـا تطوير الجيش، وإنشاء المدارس العسكرية، وتطبيق نظام الابتعاث للدراسة في الخارج .

التنظيم المالي:

استفاد الملك عبدالعزيز أيضاً من التنظيمات المالية التي كانت موجودة في أقاليم الحجاز، وعسير، والأحساء، وكلها تنظيمات عثمانية، ولكن الملك عبدالعزيز لم يكتف بهذه التنظيمات الموجـودة، وخاصـة وأن دخل الدولة بدأ يتـحسـن من جراء ضـريبـة الجهـاد، وضم إقليم الأحسـاء والقطيف اللذين كانا يدران عليـه أموالاً كثـيرة، سواء من المـنتجات الزراعـية التي تمتلكها المنطـقة، أو من الرسوم الجمـركية التي كـانت تجمع من موانىء العـقير، والجـبيل، الواقعة على الخليج العـربي، بالإضافة إلى بدء تصدير النفط بكمـيات تجارية . ولتنظيم هذه الشؤون الماليـة، فقد أنشـأ جلالتـه مديرية المالية العـامة، ثم تحولت هذه المـديرية إلى وكالة الشؤون المالية التي تحولت سنة ١٣٥١هـ إلى وزارة المالية .

ومن التنظيمات الأخرى التي اهتم بها الملك عبدالعزيز التنظيمات الخاصة بالزراعة والمياه، والحسبة، والقضاء، والإدارة العامة للبلاد، والتعليم الذي سنتناوله بشيء من التفصيل، لكونه حجر الأساس للنهضة التعليمية التي تشهدها المملكة.

تنظيمات التعليم:

إن المتتبع لمسيرة التعليم في المملكة العربية السعودية، يرى أنه في بدايات توحيدها على يد المغفور له الملك عبدالعزيز، لم يكن هناك تعليم منظم - خاصة في وسط الجزيرة - بالمفهوم السائد في الوقت الحاضر، وذلك لعدد من الأسباب، لعلَّ أهمها طبيعة سكان المنطقة من البدو غير المستقرة وكثرة الترحال سعياً وراء المطر وتكاثر الكلأ، كذلك انشغال الكثير من الحاضرة في السعي وراء لقمة العيش، كما أن عدم الاستقرار السياسي، وندرة وجود الفئة المتعلمة، كلها أمور ساعدت على ضحالة وضعف الأوضاع التعليمية .وقد كان الملك عبدالعزيز يؤمن بأهمية نشر العلم بين صفوف المواطنين، وأن لا مجال للقضاء على الجهل، والفقر، والمرض، إلا عن طريق التعليم، وهو بذلك يقول: " تواجه بلادنا ثلاثة أعداء، وعلينا أن نعبىء كل طاقاتنا من أجل القضاء عليها، هؤلاء الأعداء هم: الفقر، والجهل، والمرض "[١٥].

وإذا كان هناك مايذكر عن التعليم فإنه يوجد في نوعين: الأول تقليدي جداً، وهو مايعرف بالكتاتيب، حيث يدرس القرآن، ومبادىء القراءة والكتابة، والنوع الثاني كان يتمثل بحلقات العلماء في المساجد، وقد كانت منطقة الحجاز تفوق غيرها بهذا النوع من التعليم،

---

(١٥) محمد الشامخ : التعليم في مكة والمدينة المنورة آخر العهد العثماني ، الرياض ١٣٩٣ ، ص ٣٩ .

نظراً لوجود الحرمين الشريفين، وكثرة الحلقات التي تقام فيهما.

أما التعليم المنظم، فقد كانت جذوره موجودة في بعض المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ التركي، كبعض مدن الحجاز والأحساء، ومن أهم المدارس التي عرفت في ذلك الوقت في منطقة الحجاز المدرسة الصولتية[١٦] بمكة المكرمة، ومدرسة الفلاح بمكة والمدينة المنورة، والمدرسة العثمانية التي أسست بجدة عام ١٣١٣هـ اللتان أسهمتا في تخريج العديد ممن كان لهم الأثر الفاعل في تطور النهضة التعليمية في عهد الملك عبدالعزيز.

ومما يدل على اهتمام الملك عبد العزيز بالتعليم عقده لأول اجتماع تعليمي بعد دخوله مكة المكرمة، ورأى جلالته مناقشة أمور التعليم، وإرساء أسسه، وكان ذلك في عام ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م، حيث دعا العلماء إلى اجتماع، وحثهم على نشر العلم، وتنظيم التوسع فيه، وقد تمخض عن هذا الاجتماع مشروع إنشاء مديرية المعارف العامة في ١/٩/١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)، وكان إنشاء هذه المديرية قد سبق صدور التعليمات الأساسية التي صدرت في ٢١/٢/١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) وهي التعليمات التي وضعت نظام الحكم والإدارة، واختارت نظام المديريات المتخصصة للنهوض بمختلف فروع الخدمات، والانفتاح[١٧].

---

(١٦) عبدالمجيد إسماعيل داغستاني : المملكة العربية السعودية وقرن من الزمان ، وزارة الإعلام ، الإعلام الخارجي . جدة ١٩٨٣ م ، ص ١٣٠ .

(١٧) حمد إبراهيم السلوم : التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ، مطابع انترناشيونال كرافيكس ، واشنطن ١٩٩١م ، ص ١١ .

(١٨) عبدالله سعيد أبو راس وبدر الدين الديب : الملك عبدالعزيز والتعليم ، شركة العبيكان للطباعة والنشر . الرياض ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٤٩ .

وفي مايلي نص الوثيقة التـي اتخذها الملك عبدالعزيز في تعيين الأستـاذ صالح شطا مسؤولاً عن مديرية المعارف: "من عبدالعزيز بن عبدالرحـمن الفيصل آل سعود إلى نائبنا الابن فيصل ابن عبدالعزيز، بعد السلام، بناءً على ما قـد سمعناه من الكفاءة في المكرم السيد صالح شطا قد وجهنـا إلى عهدته مديرية المعـارف بمكة، فعليه بذل قصـارى الجهد، والغيـرة، والاهتمام نحو تعميم، ونشر المعارف، والخدمة لهذه الغاية كما هي حقها. وبطيه ترون تشكيلات دائرة المعارف المذكـورة مصدقة من لدنـا، فيقتـضى إجراء الكيفـيات اللازمة إلى الدائرة المختـصة لإجراء العمل بموجبـها - ٣رمضان ١٣٤٤هـ". كما أخذ جلالته بـالعمل على تنظيم العملية التعليـمية من حـيث الشؤون الإدارية، فأصدر قـراره بتأسيس مـجلس المعارف، الذي يعتـبر جهـازاً مشرفاً ومـساندا لأعمال المديرية، ويهـتم بوضع خطط برامج التعليم واختـيار الكتب الدراسـية، وينظر في الاقـتراحـات، والسعي لتـوحـيد برامج التـعليم في الحجـاز، ووضع الأنظمة للمدارس والمديرين والمعلمين، ونظراً لأهمـية هذه الوثيقة التي تعتبـر تحولاً تاريخياً، فيما يتعلق بحركة التعليم في المملكة العربية السعودية فلعله من المفيد ذكر نص هذه الوثيقة[١٩]

المادة (٥) صلاحية المجلس معنية فيما يلي:

١ - الموافقة على موازنة إدارة المعارف العمومية.

٢ - الموافقة على تعيين المعلمين الذين يرشحهم المدير.

٣ - الموافقة على عزل المعلمين متى حصلت ضرورة لعزلهم.

٤ - الموافقة على برامج التعليم ومناهجه.

---

(١٩) المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

٥ - النظارة على حالة المدارس، ودرس تقارير المدير عنها.

٦ - النظارة على لجنة امتحان المعلمين السنوية.

٧ - درس الاقتراحات بتوحيد برامج التعليم في الحجاز.

٨ - انتخاب الكتب المدرسية لمدارس الحكومة.

٩ - السعي لتأليف لجنة لوضع ترجمة الكتب المدرسية الموافقة للمحيط الحجازي، ومكافأة مؤلفي ومترجمي تلك الكتب.

١٠- سن الأنظمة للمدارس والمديرين والمعلمين.

١١- سن نظام لامتحانات المعلمين السنوية وتدريبهم، وإلقاء المحاضرات عليهم.

١٢- النظر في حالة الكتاتيب الخصوصية من الوجهتين العلمية والصحية، ووضع التقارير بخصوص إصلاحها.

المادة (٦) على نائبنا العام تنفيذ أمرنا هذا .

صدر في ٢٧ محرم ١٣٤٦هـ.

وقد تلى هذه الوثيقة العديد من التنظيمات التي أقرها المجلس، مثل نظام مديرية المعارف العامة، ونظام مجلس المعارف والهيئة الإدارية وهيئة التفتيش ومكتب المعارف، ونظام المدارس الأميرية الأهلية، والاختبارات النهائية، والشهادات، والمكتبة الأميرية العامة، ونظام البعثات الذي صدر في ١٣٥٥/٨/٤ والذي يحدد البعثة بأنها تعني كل بعثة يكلف أعضاؤها بالحصول على شهادة دراسية، أو درجة علمية بأن تتبع دراسة في المعاهد العلمية في خارج المملكة العربية السعودية، والبعثة الفنية هي التي يقصد بها أن يتمرن أعضاؤها على مهنة، أو صناعة مخصوصة خارج المملكة العربية السعودية . كما أصدر المجلس قرارات

obeikandl.com

تنظيم المدارس الأهلية، ونظام المدارس القروية ومنهجها، ونظام المدارس الخصوصية للمدارس الثانوية. ومما لا شك فيه، أن الجهود التي قام بها الملك عبد العزيز في تطوير التعليم، ونشر العلم، هي جهود جبارة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الحالة التي كان يعيشها أفراد المجتمع السعودي آنذاك، من حيث قلة الإمكانات المادية، وندرة المعلمين، وفي ما يلي عرض موجز عن الحالة التي أصبح عليها التعليم في المملكة، في أواخر عهد المغفور له الملك عبد العزيز، والذي تولاه من بعده وزير المعارف الملك فهد بن عبد العزيز:

جدول رقم (١)

حالة التعليم في المملكة في أواخر عهد الملك عبد العزيز

المستوى	عدد المدارس	الطلبة	المعلمون
الابتدائي	١١٩	٢٤٫٦٧٥	١٤٨١
المتوسط	١١	١٩٦٠	٢٧٩
الثانوي	١١	٣٢٠	٢٢
المجموع	١٦٦	٢٥٩٥٥	١٧٩٢[٢٠]

وكان نظام التعليم آنذاك يتمثل في التالي:

---

(٢٠) مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي عام ١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ.

أ - التعليم في المرحلة الابتدائية، ويشتمل على ثلاثة أنواع من المدارس :

١ - التعليم القروي، ومدة الدراسة فيه أربع سنوات .

٢ - التعليم الابتدائي، ومدة الدراسة فيه ست سنوات .

٣ - المدارس الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

ب - التعليم الثانوي، وينقسم إلى قسمين :

١ - التعليم الثانوي العام، ومدة الدراسة فيه ست سنوات بعد إتمام الشهادة الابتدائية.

٢ - التعليم الثانوي الديني، ويتمثل في إدارة التوجيه بالطائف والمعاهد الأخرى التي تعرف بالمعاهد العلمية، ويلتحق بها حملة الشهادة الابتدائية، ومدة الدراسة فيها خمس سنوات .

ج - التعليم المهني المتوسط، ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات، ويلتحق به حملة شهادة إتمام الدراسة الابتدائية.

د - معاهد إعداد المعلمين، وهي على مرحلتين :

١ - معاهد بعد إتمام الدراسة الابتدائية، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

٢ - معاهد بعد إتمام الدراسة الثانوية، القسم الخاص بدراسة قسم المعلمين الثانوي، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات .

وفي ما يلي خلاصة إحصائية عن التعليم في المملكة العربية السعودية خلال العام ١٣٧١ - ١٣٧٢هـ[٢١] :

---

(٢١) عبد الله سعيد أبو راس وبدر الدين الديب : مصدر سابق ، ص ٢٨٨ .

جدول رقم (٢)

إحصائية عن التعليم في المملكة خلال العام ١٣٧١ - ١٣٧٢هـ

أنواع المدارس	عددها	عدد الطلاب	عدد المدرسين
١ - المدارس القروية والحكومية	٧١	٢٦٧٩	١٢٢
٢ - المدارس الابتدائية	١٢٥	٢١١٥٦	٢٨١
٣ - المدارس الثانوية	١٥	١٥٧٩	١٤٧
٤ - المدارس المهنية	١	٢٧	٣
٥ - المعاهد الثانوية الدينية	٤	٩٥٧	٩٨
٦ - كلية الشريعة	١	٨٠	١٥
٧ - كلية المعلمين	١	٥	-
المجموع	٢١٨	٢٦٤٩٣	١٢٠٦

١ - كانت كليـة الشريعة بمكة المكرمـة، هي النواة الأولى للتعليم العالي في المملكة العـربية السعودية، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات .

٢ - برنامج البعثات الدراسية في الخارج، وكانـت في ذلك الوقت مركزة على جامعات مصر والجامعة الأمريكية ببيروت، وبعض البعثات إلى أمريكا وانجلترا، وفرنسا، وإيطاليا.

مناقشة:

بَذَلَ الملك عبد العزيز، في مـهمة توحيده المملكة العربية السعـودية، وقتاً وجهداً، من خلال المعـارك، التي خاضها، وتمخـض عنها إرساء دعائم هذا الكـيان الشامخ، الذي يعتـبر بحق نموذجاً للتغـير الاجتماعي في العـصر الحديث، ولعله من المفيد إلقـاء نظرة تحليلية على هذه النقلة الاجتـماعيـة التي حدثت للمملكـة، والتي أدت إلى قيام هذه الدولة الميـمونة من خلال استعـراض عدد من نظريات التطور والتغير الاجتمـاعي، ومحاولة تحسس الرؤية، من خلالها، إلى ما حققته المملكة من تقدم في مسيرتها نحو التنمية الشاملة والدخول في مصاف الدول الحديثة، بعد أن كانت تعـيش حياة مجتمع تقليدي يسوده الانتـماء الأسري والعشائري والقبلي.

يعرِّف بعض الـباحثين التـغير الاجـتمـاعي بأنه "كل تحول يحدث في الـنظام والإنسان والأجهزة الاجتماعـية من الناحية الشكلية (المورفولوجية) أو الوظيفية (الفـسيولوجية) خلال فترة زمنية"[٢٢]. أما لندبرج (Lundbearg) فيـرى "أن ظاهرة التغير تحـدث في كل محل وفي كل وقت؛ فالتـغير عنده يمثل الاختـلافات التي تطرأ على ظاهرة اجتـماعية خـلال فترة زمنية والتي يمكن ملاحظـتها وتقديرها, وهي تحدث بعوامـل خارجية وداخلية مثل اكـتشاف موارد الثروة أو الهجرة أو التعليم" [٢٣].

---

(٢٢) علي تقي ووليد هدانة : مقدمة في الاتجاهات التربوية المعاصرة ، منشورات ذات السلاسل ، الطبعة الأولى ، الكويت ١٩٩٧، ص ٤٠ .

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

وتتعدد نظريات التغير الاجتماعي، وفقاً للعديد من المفكرين الاقتصاديين والاجتماعيين. ومن هذه النظريات ما يرتبط بالتغيرات الفلسفية للتاريخ والنظر إلى ظاهرة التقدم والتطور والتغير، ويمكن تصنيف هذه النظريات في مجموعتين أساسيتين:

أ - نظريات التقدم والتطور:

وهي النظريات التي تؤيد الاتجاه الفكري، الذي يرى أن حركة المجتمع تسير في خط واحد، ومن أهمها نظريات أوجست كونت (Conte) وهربرت سبنسر (Spenser) وكارل ماركس (Marx) .

ب - نظريات الدورات الحضارية، أو النظريات الدائرية:

وهي النظريات التي تبين أن حركة التاريخ تسير في اتجاه دائري، حيث تدور العجلة مرة واحدة، أو تتعدد الدورات، ومن أهمها نظريات ابن خلدون، وسبنجلر (Spengler) وتوينبي (Toynbee) وسوروكين (Sorokin) .

أ- نظريات التقدم والتطور:

كانت المحاولات الأولى في هذا الاتجاه من النظريات التطورية، لكل من أوجست كونت، وهربرت سبنسر وهوب هاوس في علم الاجتماع وتايلور ويستر مارك في علم الأنثروبولوجيا، وقد أجمعوا على أن التغير في جميع المجتمعات يمر في حالات متشابهة من التطور، متدرجاً من البساطة إلى التعقيد، في مراحل تطورية، تبلغ كمالها في المجتمعات الصناعية الحديثة.

١ - نظرية أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧م) (August Conte):

يرى أوجست كونت أن تطور العلم الطبيعي للمجتمع، هو تطور منطقي لعملية التقدم في التفكير الإنساني، وأن البشرية تتقدم نحو غاية معينة في أدوار ارتقائية متتابعة، ويؤكد كونت أن التغير الاجتماعي هو نتاج تطور الذكاء الإنساني أطلق عليه قانون المراحل الثلاث أو (الأدوار) الثلاثة، وطبقاً لهذا القانون، فقد رأى أن التغير كان من نتاج تطور العقل البشري، الذي يبدأ بخط معين من التفكير البدائي، مروراً بمراحل من التفكير الفلسفي، منتهياً بمرحلة من التفكيرالعلمي الوضعي، الذي كان من أهم نتائجه تلك التغيرات والتطورات التي يشهدها عالم اليوم (في عصره) في مجال الاكتشافات والمخترعات والتقدم التكنولوجي بوجه عام، وما أحدثه ذلك من تغيرات في بناء المجتمع وأخلاقياته وقيمه .

٢ - نظرية هربرت سبنسر (١٨٢٠ - ١٩٠٣م) (Spencer) :

يرى سبنسر أنه من الممكن تطبيق القوانين الخاصة في مجال علم الأحياء، في المجال الاجتماعي . وهو في ذلك يصبح حامل راية المذهب العضوي، حيث يؤكد في أكثر من موضوع، في كتابه مبادئ علم الاجتماع، أن التطور للإنسان وهو الامتداد للتطور ما فوق العضوي (Super Organic) والذي بدوره يعتبر استمراراً للتطور العضوي، وفي إطار دراسته لتطور بناء المجتمع (Structure) على غرار تطور الكائن الحي والوظيفة (Function) معاً، فالكائنات الدنيا - حسب رأي سبنسر - تكون الاختلافات بين أجزائها بسيطة، ولكنها تأخذ بالتعقد والتضاعف عند الكائنات العليا، وهكذا المجتمع البسيط، تكون العلاقات التي تربط أفراده بسيطة، ذات طابع أسري وعشائري وقبلي وقروي، كما تتشابه المجتمعات البسيطة من حيث بنائها ووظائفها، وعندما تأخذ هذه المجتمعات بالتطور والتقدم، تبدو أكثر تعقيداً أو أكثر تمايزاً، فتنشأ الوحدات السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية،

وتصبح لكل وحدة وظيفة خاصة بها، ومجموع هذه الوظائف يؤدي إلى وظيفة عامة، هي وظيفة المجتمع . وبمعنى آخر، فإن وحدات المجتمع تتكاتف وتتعاون فيما بينها، وكلما تعاظم حجم المجتمع، تعاظم حجم البناء (Structure) والتطور، وازدادت الرغبة لدى الأفراد في التخصص المهني الوظيفي.

٣ - نظرية هوب هاوس:

يؤكد هاوس (HOB HOUSE) أن نمو الذكاء الإنساني، هو العامل الرئيس في عملية التطور، إذ يتحكم العقل في الوسط المادي الطبيعي المتزايد تدريجياً، بحيث يؤدي بالإنسان إلى التطور، ولا بد من وجود منهج علمي يقوم على البحث الأمبريقي، لقياس هذا التطور، ويرى هاوس أن المجتمعات تمر في تطورها بثلاث مراحل، هي تطور المجتمعات البدائية، ثم تطور المدينة القديمة ثم الحديثة، وتوصل في دراسته إلى وجود نوع من العلاقة بين تقدم المعرفة والسيطرة على قوى الطبيعة المادية من جهة، وبين بناء المجتمعات وتقدم النظم الاجتماعية فيها من جهة أخرى [٢٤] .

٤ - نظرية كارل ماركس:

يعتبر كارل ماركس (KARL MARX) من أكثر من تأثروا بكتابات هيجل، التي خرج منها بفلسفة خاصة، كرس حياته للتعريف بها والدفاع عنها، وقد أطلق عليها التفسير المادي للتاريخ (Materialistic Interpretation of history) ولم يأخذ من فلسفة هيجل سوى طريقته الجدلية (Dialictic Method) من ناحية نظريته للتاريخ، كصدام

---

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

بين القـوى المتعارضـة، وعلى ذلك تقوم نـظريته المادية الجـدلية على أسـاس نظرية القضـية وضدها، ثم القضية الجديدة (Thesis - Antithesis Synthesis) ونظريته لا تتصل بالأفراد لأنهم أضعف من أن يؤثروا في التغير الاجتماعي، وإنما تخص المجالات والطبقات، حيث يبدو واضحاً الصراع الاقتصادي للجمـاعات ضد بعضها، بهدف السيطرة وتعيين الاتجاه الذي تأخذه الحوادث [٢٥] . ولقد بدا لماركـس أن العنصر الاقتـصادي هو القوة المـسيطرة في المجتمع، بينما تبدو له جميع القوى الأخرى من فنية وثقـافية وفلسفية، وكذلك الاكتشافات العلمية، مجـرد أدوات ثانوية للعامل الاقتصادي . وقد تركز بحثـه في التاريخ حول مشكلة انتقال النظام الرأسمالي السائد في الإنتاج الصناعي نحو النظام الاشتراكي، وقد اعتبر أن هذا الانتقال هو إحدى الحركات التطورية للتاريخ.

ب - نظريات الدورات الحضارية أو النظريات الدائرية:

إن من أهم مـا تعـتـمد عـليه هذه الـنظريات هو اهتـمـامهـا بدراسـة الماضي دراسـة متخصـصة، ينتج عنها فهم الحاضر والمستقـبل، فللمجتمعات أعمـار محدودة ومراحل يمكن معرفتها منذ الطفولة إلى الصبـا ثم الكهولة فالموت المحتوم، وتقوم هذه النظريات على أساس أن التغـير الاجـتماعي، يتـجه صـعوداً أو هبوطاً، مـبتـدئاً من نقطة معيـنة من دورة، تعود بالمجتمع إلى نقطة مشابهة للتي بدأ منهـا، وترى هذه النظريات أن حضارة أي مجتمع ككل، تمر في دائرة تبدأ بالميلاد فالطفولة، وتسير نحو النضج والاكـتمال، ثم تتجه إلى الشيخوخة، ثم تعود مرة أخـرى للرقي والتقدم، وتخلق لنفـسها ثقافة وتسـتعيد قـوتها واكتمـالها، ولقد

---

(٢٥) عبد الحميد لطفي : علم الاجتماع ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٥١ .

حاول مؤيدو هذه النظريات استنتاج قوانين من حوادث التاريخ تسير عليها المجتمعات البشرية ومن بين هذه القوانين ما يلي:

١ - نظرية الدورات المتعاقبة عند ابن خلدون :

استفاد ابن خلدون من دراسته للتاريخ الإسلامي والشعوب الشرقية والوقوف على أسباب نشأتها وازدهارها ثم اضمحلالها وقيام دول أخرى على أنقاض الدول السابقة، وتمكن بذلك من أن يخرج بقانون يحكم حركة المجتمعات الإنسانية، فبالنسبة لابن خلدون يسير كل مجتمع في طريق طبيعي، يجتاز فيه أطواراً ثلاثة : طور النشأة والتكوين، ثم طور النضج والاكتمال، وأخيراً طور الهرم والشيخوخة، ثم يفنى ليقوم على أنقاضه مجتمع آخر يجتاز نفس المراحل التي اجتازها سابقه. ويقول ابن خلدون في الفصل الرابع عشر من مقدمته "إن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص" "إعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمنجمون أربعون سنة، والدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته" [٢٦].

٢ - نظرية سبينجلر:

شرح سبينجلر في كتابه «تدهور الغرب» نمو المجتمع وحضارته، وقال إنها عادة تبدأ بالنشأة ثم النضج والازدهار ثم التدهور والانتهاء، وهي نفس مراحل النمو الإنساني، فلكل كائن بشري طفولته وشبابه ونضجه ثم شيخوخته، وفي بعض الأحيان يشبه سبينجلر هذه

---

(٢٦) علي عبد الواحد وافي : تحقيق في مقدمة ابن خلدون : الجزء الثاني ، دار المعارف القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٨٥.

المراحل الأربع بصورة الفصول الأربعة، الربيع والصيف والخريف والشتاء , ويستطرد سبينجلر في حديثه عن مراحل تطور المجتمع بقوله "إنه إذا ما وصل المجتمع إلى مرحلة الحضارة فإنها تكون الخاتمة، فهي الموت الذي ينهي الحياة، أي الجمود الذي يتبع الإبداع الفكري" [٢٧].

٣ - نظرية أرنولد توينبي:

يذهب توينبي في كتابه «دراسة التاريخ» بآرائه حول تاريخ العالم إلى أنه سلسلة منظمة من دورات كبيرة من الارتفاعات والانخفاضات، أي من النمو والانهيار. ويرى أن الحضارة تظهر في زمن معين ومكان معين، وتزدهر وتضمحل، على أنه من الممكن إذا أمعنا النظر في الجوهر اعتبار نظرية توينبي نظرية خطية حيث يرى الحضارات المختلفة "رغم أنها بالتأكيد كيانات فردية مستقلة إلا أنها جميعاً ممثلة لنوع واحد من المكونات، وتقوم بمهمة واحدة" [٢٨]. ويرى توينبي أيضاً أن الحضارات تمر بالمراحل التالية : الميلاد، النمو، الاضمحلال أو التفكك، وإن هذه المراحل لا تتم بصورة عشوائية بعيداً عن إرادة الإنسان وإنما يتم ذلك وفقاً لعاملي التحدي والاستجابة (Challenge and Response) اللذين يتخذهما مفتاحاً لتفسير التاريخ.

٤ - نظرية بتريم سوركين:

يقدم سوركين في كتابه «الديناميات الاجتماعية والثقافية» نظرية الدورة الحضارية التي

---

(٢٧) علي تقي وزميله : مصدر سابق ، ص ٤٥ .

(٢٨) محمد الجوهري وآخرون : تمهيد في علم الاجتماع ، ترجمة كتابات بوتومور ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٣٤٧ .

ترى أن التغـير الاجتمـاعي يأخذ عادة شكل التـقدم المطرد في اتجاه معين، لمدة مـعينة، وفق خط مستقيم، ثم يحدث انعكاس لهذا الخط المستقيم، ولكن بصورة غير منتظمة، حتى يصل إلى حد مـعين ثم يرتد من جديد في الاتجاه المضـاد، وهكذا يكون نمط التغير، تحـولاً بين ما يسمى بالمرحلة الفكرية والمرحلة الحسية، وينتهي بالمرحلة الروحـية المثالية، حيث يتم التوفيق بين المرحلتين الفكرية والحسية، وتصبح المعرفة عقلية وليست تجريبية [٢٩] .

بعد اسـتعراض هذه النظريات المتـعلقة بالتغـير الاجتـماعي، يمكن القول بأن مـا ذكره لندبرج عن ظاهرة التغير الاجـتماعي، التي عادة ما تكون نتيجة لعـوامل داخلية أو خارجية، مثل اكـتشاف مـوارد الثروة والهجـرة والتعليم، فإننا نجـد أن هذه النظرية تنطبق على التغـير الاجتماعي، الذي شهدته المملكة العربية السـعودية، منذ بداية عهد الملك عبد العزيز، حيث بدأ إنتاج البـترول منذ ذلك الحين. كـما أن الهجـرة الداخلية بين سكان البـادية إلى المدن قد أخذت في الازدياد نتيجة للفرص الوظيفيـة المتاحة في مختلف مرافق الدولة وصناعة الزيت، كما بدأ التعليم يأخذ طريقه إلى صفـوف المواطنين ابتداءً من إنشاء مديرية المعارف العامة سنة ١٣٤٤هـ، وكذلك فـإن بعض ما جاء في نظريات الـتطور والتقدم لكل من أوجـست كونت وسبنسـر وغيـرهم ممن سبق ذكـرهم، التي تفيـد بأن المجتمـعات في تطورها تأخـذ خطاً من التدرج من البـساطة إلى التـعقيد، فـي عدة مراحل تطورية، نجـده حاصلاً من خـلال تجربة المملكة العربية السعـودية منذ بداية تأسيسها حيث كان المجتمع تقليـداً بسيطاً وأخذ في طريقه إلى الرقي في مـجالات الاقتـصاد والصناعة. ولعـل التطور الذي شهدته المـملكة من خلال

---

(٢٩) علي تقي وزميله : مصدر سابق ، ص ٤٦ .

زيادة الموارد والاتجاه إلى التصنيع خير دليل على مسيرة المملكة إلى مصاف المجتمعات المتقدمة، ولعل تعدد وظائف المجتمع وتكاتفها قد أدّى إلى تعاظم حجم البناء والتطور وزادت رغبة الأفراد للتخصص الوظيفي والمهني وهذا فعلاً ما نشاهده في المجتمع السعودي وهو ما نوّه إليه سبنسر في نظريته ما فوق العضوي (Super Organic) الذي هو أساس لتطور واستمرار العضوي (Organic). ولعل أكثر نظريات التغير الاجتماعي انسجاماً مع حركة التقدم والتطور في المملكة هو ما ذكره توينبي بأن مراحل تقدم المجتمع لا تأتي عشوائياً، بل تحتاج إلى إرادة بشرية ذات قدرة على التحدي والاستجابة لمتطلبات الحدث، وهذا فعلاً ما حدث على يد المغفور له الملك عبد العزيز الذي أراد لهذا المجتمع أن يكون من خلال تحدياته للصعاب في توحيد وبناء المملكة واستجاباته لمتطلبات هذه التحديات، من تكوين دولة ذات سيادة تتطلع إلى مصاف الدول العصرية .

وقفة للتأمل:

أصدر صاحب الجلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه في السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ أمراً ملكياً، قضى بموجبه بتوحيد جميع مقاطعات الدولة وتحويل اسمها إلى "المملكة العربية السعودية"، وكان بذلك تجسيداً لواقع سياسي جديد، أدى إلى قيام كيان كبير، تحدوه الآمال الكبيرة بالسير في طريق النهضة والتنمية. وقد كان ذلك إيذاناً ببزوغ فجر جديد لهذه الأمة إنساناً وأرضاً، ذلك أن قيام المملكة العربية السعودية قد أحدث أبعاداً على مختلف المستويات المحلية والإقليمية والدولية، فعلى المستوى المحلي

خاصة ما يتعلق بالتعليم الذي هو موضوع هذا الكتاب ما قام به الملك عبد العزيز من مشاريع تعليمية على الرغم من تواضعها في ذلك الوقت، إلا أنها شكّلت حجر الأساس لنظام تعليمي اشتمل على عدد بسيط من الطلاب الذين بلغ عددهم ٢٥٩٩ طالباً يتلقون الدراسة في ١٦٦ مدرسة حتى بلغ عدد الطلاب خلال السنة الأولى من خطة التنمية السادسة ١٤١٥ - ١٤٢٠هـ أكثر من أربعة ملايين ونصف المليون طالب وطالبة يتلقون العلم في ٣١٨٥٤ مدرسة ومعهداً وكلية [٣٠] . أما على المستوى الإقليمي والدولي فقد أصبحت المملكة العربية السعودية عضواً في هيئة الأمم المتحدة، وعضواً في الجامعة العربية، والمملكة بما تشكل من موقع سياسي ثابت واقتصاد مزدهر، ساهمت في العديد من المساعدات الاقتصادية من خلال محورين أساسيين :

١ - خدمتها للإنسانية ودعمها لقضايا التنمية الاقتصادية إقليمياً ودولياً، ومساعدتها المالية والمعنوية للأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة .

٢ - دعمها المتواصل لبرامج التنمية في دول العالم العربي والإسلامي، وتطوير التعاون في بلدانها، حيث قدر حجم المساعدات السعودية في السنة ١٩٧٣ - ١٩٨٩م بأكثر من ستين مليار دولار، كما تعتبر المملكة العربية السعودية من أكبر الدول العربية تقديماً للمساعدات الإنمائية، حيث قدمت المملكة ١١١٨ مليون دولار، منها ٩٦٠ مليون

---

(٣٠) عبد الله فرحان المزهري : الطلاب المتوقع التحاقهم بالتعليم الجامعي خلال خمسة عشر عاماً ، ندوة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية ، رؤى مستقبلية ٢٥ - ٢٨ شوال ١٤٠٨ الجزء الأول ، ص ٣٦٥ .

دولار منحاً مباشرة لا تسترد، والباقي كقروض ميسرة من خلال الصندوق الدولي للتنمية، ولعل التزام المملكة في تقديم المساعدات ناتج عن إيمانها بأن لها دوراً حيوياً ومهماً في هذا العالم، ويؤكد ذلك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في خطابه الذي ألقاه سنة ١٤٠٢هـ، عند تسلمه مقاليد الحكم في البلاد حيث قال "إننا نعمل في المحيط الدولي الشامل داخل هيئة الأمم المتحدة وفروعها ومنظماتها، نلتزم بميثاقها وندعم جهودها، ولقد كانت تصرفاتنا وستبقى، تعكس إحساسنا بالانتماء إلى المجموعة الدولية كأسرة واحدة، مهما اختلفت مصالحنا، ونعتقد أن الأمن الدولي والاستقرار السياسي مرتبطان بالعدالة الاقتصادية ومنبثقان منها" [٣١].

(٣١) إبراهيم عبد الله المطرف : وجهات نظر في الاقتصاد والسياسة ، نادي المنطقة الشرقية الأدبي الدمام ١٩٩٨ ، ص ٤١

obeikandl.com